مهزلة «جنيف 3»

■ **حميدي العبدالله**

تمخض الجبل فولد فأراً، هذا المثل ينطبق على «جنيف 3» الذي بدأ أعماله يوم الجمعة الماضي، إذا كانت الأمم المتحدة، مدعومة من روسيا والولايات المتحدة غير قادرة على تأمين انعقاد المؤتمر وفقاً لما جاء في قرار مجلس الأمن 2254 الذي تمّت الموافقة عليه بالإجماع ووفقاً لمقررات «فيينا 1» و«فيينا 2» التي شاركت فيها أكثر من خمس عشرة دولة، هي الدول الفاعلة والمؤثرة في ما يجري في سورية، فهل تستطيع هكذا أمم متحدة الوصول إلى حلّ يسهم في وقف الحرب في سورية وينهي هذه المأساة؟

واضح أنّ جهود الأمم المتحدة في سورية لن تأتي بنتائج أفضل من جهودها لحلّ الأزمة في ليبيا وإنهاء القتال هناك، على الرغم من أنّ المواقف الدولية والإقليمية في ليبيا أقلّ تصادماً وعداء بالمقارنة مع سورية.

ثمة أسباب كثيرة تفسّر خروج «جنيف 3» عن التوقعات وعن المسار الذي حدّده قرار مجلس الأمن وتوصيات لقاءات فيينا، السبب الأول يكمن في حقيقة أنّ الدول المنخرطة في الحرب على سورية فقدت تأثيرها على القوى الفاعلة على الأرض في سورية، فالجماعات المسلحة الأكثر فاعلية، هي الجماعات التي عرّفها مجلس الأمن بأنها جماعات إرهابية، وهي تنظيم «داعش» و«جبهة النصرة». «داعش» يحتكر المواجهة ضدّ الجيش السوري وحلفائه وضدّ التحالف الأميركي وامتداداته في محافظات الرقة ودير الزور والحسكة، إضافةً إلى أنه القوة الوحيدة التي تقاتل الجيش السوري في ريف السويداء الشرقي وريفي حمص وحماه الشرقي، إضافةً إلى ريف حلب الشمالي والشرقي. و«جبهة النصرة» تهيمن على المواجهة في محافظة إدلب وريف حلب الغربي، إضافة إلى ريف دمشق. هذان التنظيمان يرفضان الحلّ السياسي، ولا يشملهما قرار وقف إطلاق النار، وهذا يعني أنّ أيّ قرار لوقف إطلاق النار سوف يفضح حدود تأثير المجموعات المسلحة المرتبطة بالغرب وحكومات المنطقة والمؤتمرة بأوامره، ولهذا هربت الدول الداعمة للجماعات المسلحة إلى الأمام لكي لا ينفضح أمرها، ولهذا تضع شروطاً تعجيزية، وكان لهذه الشروط أثر كبير على إنتاج «جنيف 3» على شكل مهزلة لا يُرجى منها فائدة، وتعيد تكرار مسار التفاهمات النظرية التي جرت في ليبيا، ولم يكن لها أيّ تأثير على الأرض. السبب الثاني، عقدة التمثيل الكردي، فالأكراد هم القوة الوحيدة الموجودة على الأرض غير الجيش السوري الذي يحارب الإرهاب، ولكن من الواضح أنّ تركيا تصرّ على استبعادهم من المشاركة في الحوار لحلّ الأزمة في سورية، وبديهي أنّ تجاوز الأكراد، سيعرقل إمكانية نجاح «جنيف 3» كما أوضح وزير خارجية روسيا سيرغي لافروف، والهروب من مواجهة هذه العقدة بصراحة عبر صيغ التفافية لضمان بقاء تركيا جزءاً من مجموعة الاتصال الدولية بعدما هدّدت بالانسحاب منها إذا وجهت دعوة إلى حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي للمشاركة في حوار جنيف، وذلك أيضاً أسهم في تحويل «جنيف 3» إلى مهزلة، وبالتالي إجهاض أيّ رهانات على احتمال أن ينجم عنه أيّ شيء إيجابي.

الجبير بين انتظار الجمهوريين وانتظار المفآجات...

لم تعد خافية كمية العناد والمكابرة السعودية اللتي ظهرت منذ اندلاع الأزمة السورية لجهة التعنّت والإصرار على تنفيذ مخطط التغيير الذي تراه السعودية مناسباً لوضعها في المستقبل، فكان أن تبنّت السعي إلى إسقاط الرئيس السوري بشار الاسد، حتى تعقّد المشهد أكثر، وحققت المجموعات المسلحة المدعومة من السعودية بعض التقدّم الميداني، حتى استردّ الجيش السوري المبادرة ودخل حزب الله الحرب الى جانب النظام، وبعده الدخول العسكري الروسي الذي أحدث انقلابا وتسريعا بوتيرة العمليات..

هنا بات على السعودية محاربة حزب الله ايضاً بمرحلة اولى، فحاولت استهدافه داخل لبنان على اعتبار انّ لها نفوذاً فيه وقادرة على إحداث خرق في هذا المجال الذي ربما فشل «الاسرائيلي» بدخوله، فالرياض لديها حلفاء في الداخل اللبناني يتمتعون بنفوذ قوي في السلطة.

تمكنت السعودية من رعاية كبرى التفجيرات في لبنان، أبرزها تفجير السفارة الإيرانية، وقبلها وبعدها سلسلة تفجيرات بالمدنيين العزل في مناطق يقطنها جمهور حزب الله مثل الضاحية الجنوبية التي تعرّضت لأكثر من تفجير إرهابي...

لم تفلح السعودية في إحباط عزيمة الحزب، رغم أنها أوعزت لجماعتها بمحاولة عزله داخلياً، لكن الحزب عايش مرحلة عدم الموافقة على المشاركة وإياه في الحكومة حتى أتى اليوم الذي تغيّر فيه كلّ شيء.

أرادت السعودية محاربة روسيا أيضاً بكلّ ما أوتيت من قدرات، ففي مرحلة استهدفت روسيا بتفجيرات أو عمليات إرهابية محدّدة، وهناك من لعب على وتر تحريك المعارضة الداخلية الروسية ايضا في وقت مبكر من الأزمة السورية، من ثم الاختبار الكبير في أزمة القرم حيث أظهرت روسيا نوعا حاسما من السلوك الغير متوقع فدخلت القرم عسكريا.

اليد السعودية الداعمة لكلّ ما من شأنه إرباك روسيا كانت حاضرة، والمفاجأة انّ روسيا قرّرت المشاركة العسكرية في سورية أيضاً فانقلبت الطاولة رأساً على عقب...

اللافت سعودياً حتى الساعة التوجه نحو الانتحار السياسي والأمني والمعنوي، فهي لا تزال تراهن على إيجاد فرصة تحقق فيها نصراً في سورية، وفي هذا الاطار لم تقتصر على مساعيها محاربة حزب الله وروسيا، بل ايضاً فتحت استفزازات ومعارك كبرى مع إيران في حرب وحشية على اليمن استهدفت فيها حلفاءها ولا تزال، إضافة إلى أزمات أخرى عديدة مثل كارثة حجاج منى وإعدامها الشيخ الشهيد نمر باقر النمر.

اليوم تبدو السعودية مربكة وتحاول استغلال ما تبقى من فرص علّها تعيد بعض الأمل في الحضور بقوة السياسة على طاولة المفاوضات التي توجهت ووجهت مجموعتها اليها، لكن من دون الاستسلام من إمكانية ابتكار أساليب ضغط جديدة على تغيّر الأحداث، وهنا يلفت الوضع الجيد والجديد الذي يجمع السعودية وتركيا سويا بعدما كادت تندلع ازمة كبرى بينهما منذ بداية أحداث المنطقة بعد اكتساح «الإخوان المسلمين» السلطات في مصر وتونس، واليوم تبدو هذه العقبة قد طويت.

يضاف الى كلّ هذا حديث سعودي يشرح أسباب التعنّت، ومفاده انتظار وصول الجمهوريين إلى البيت الأبيض في أميركا، وهنا بيت القصيد... فهل ستدعم الرياض حملات انتخابية اميركية بصفقات مسبقة مع مرشحين بإطالة عمر الأزمة السورية بعد حتى لا يعلن عن هزيمتها؟

اذا كان ذلك ممكناً فكيف تتجاهل الرياض العمل العسكري الروسي من اليوم حتى موعد انتخاب الرئيس الاميركي؟ التقديرات تفيد انّ فترة من هذا القبيل من شأنها إضعاف قدرة المعارضة على البقاء، بل ستشهد اكتساحاً عسكرياً روسيا – سورية، ايّ انّ فرصة كسب سياسي للمعارضة قد تتضاءل، فهل تحسب الرياض هذا الحساب جيداً وتستمع لنصائح جون كيري بالانضواء تحت معادلة التفاوض اليوم قبل ان تفرض انتصارات الميدان عزلها؟

المملكة بين انتظارات وخيارات سقوط تلو الآخر.

«توب نيوز»

لغة السيد لا يفهمونها

- امتلأت الساحتان السياسية والإعلامية بفحص خلفيات ترشيح كلّ من الرئيس سعد الحريري ورئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع لكلّ من النائب سليمان فرنجية والعماد ميشال عون مضموناً وشكلاً وخطاباً وإخراجاً.

- الخلاصة أنّ استهداف حزب الله في علاقته بحليفيه يتقدّم على الرغبة الأصلية إنْ وجدت بضمان نجاح الترشيح، ما أصاب الترشيح بالتعطيل.

- الكل كان يتساءل كيف سيتمكن السيد نصرالله من التعامل مع هاتين الإصابتين في بيئتين حليفتين حاضنتين للمقاومة؟

- أطلّ السيد بكلّ حكمة ونضج ومسؤولية عندما اقتضى الخطاب الشرح والتحليل، ثم لما صار موعد الموقف قال كلمتين...

- قال السيد للعماد عون وجمهوره نحن ملتزمون أخلاقياً.

- قال السيد لفرنجية وجمهوره أنت أخي وصديقي وحليفي ونور عيوني ولو كان التزامنا معك كما هو مع العماد عون لكان موقفنا اليوم هو نفسه.

- ردّ فرنجية «السيد نصرالله سيد الكلّ».

- ردّ عون «السيد نصرالله أخ لا تتزحزح معه الأخوة».

- فرح جمهور عون وفرنجية وامتلأت صفحاتهما بالتحيات للسيد.

- لغة حيّرت الخصوم ولم يفهموها.

- المقاومة عقل وقلب وتتقن اللغتين.

التعليق السياسي

الشيخ الذي فقد ظلّه... وفقهه!

■ **د. رفعت سيد أحمد**

القرضاوي أصدر قبل أيام فتاوى بتكفير حكام مصر وجيشها وشرطتها...

لا أريد أن أتحدّث اليوم بما لديّ من أفكار ورؤى بشأن قيام «الداعشيين الجدد» في بلادنا بتكفير خلق الله، والذي امتدّ قبل إلى التاريخ ذاته ليكفرونه. انّ التكفيريين الجدد هؤلاء يستخدمون الدين لخدمة الأجندة الأميركية القائمة على خلق الفتنة بين المسلمين إجمالاً، وبين السنة والشيعة بخاصة، وهذه الفتاوى التكفيرية تقدّمها وتموّلها بعض الأنظمة الخليجية كلّ حين، وهي مقصود بها في الأساس التخديم على استراتيجية واشنطن وتل أبيب في تفكيك المنطقة وخلق الفوضى فيها. وإلا دعونا نسأل تلك الدول الخليجية التي تبكي على إرهابيّي سورية وإرهابيّي مصر وتنعتهم بأنصار الحرية وبالثوار... ماذا عن الحرية في أوطانهم؟ وماذا عن فتاويها بشأن صفقات السلاح مع أميركا؟ وكذلك الوجود الاحتلالي والقواعد العسكرية الأميركية في غالب دول الخليج؟ لماذا تصمتون بشأنه وتتحدّثون عن الحرية والاستقلال والثورة في مصر وسورية وليبيا؟!

اليوم لن أتحدّث بما لديّ من أفكار ترفض هذا المنهج غير الإسلامي، وسأترك الساحة لأحد أبرز شيوخهم الذي صار بعد ثورات ما سمّي بـ«الربيع العربي»، أكبر مكفراتي وأكبر مفت بسفك الدماء، ومنها دماء الشعب الليبي والسوري واخيراً المصري (جيشاً وشعباً وشرطة)... لأنهم لم يخدموا المشروع الإخواني الأميركي الذي يعمل فيه هذا الشيخ الذي بلغ من العمر أرذله. عمل فيه مجرد خادم للسلطان، سواء السلطان القطري او السلطان الأميرك.

اننا نقصد يوسف القرضاوي... ذلك الشيخ الذي فقد ظله ومن قبله فقد عقله وتاريخه خدمة لهذا السيد الأميركي – القطري – الإخواني، دعونا نتأمّله وهو يردّ على التكفيريين قبل الثورات والذين يسمّيهم هو اليوم زيفاً بـ(الثوار) فماذا يقول الشيخ؟

* في كتابه (الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف)؛ يرى القرضاوي أنّ التطرف بلغ غايته

حين يُسقط عصمة الآخرين، ويستبيح دماءهم وأموالهم، ولا يرى لهم حرمة ولا ذمة، وذلك إنما يكون حين يخوض لجّة التكفير، واتهام جمهور الناس بالخروج من الإسلام، أو عدم الدخول فيه أصلاً، كما هي دعوى بعضهم، وهذا يمثل قمة التطرف الذي يجعل صاحبه في واد، وسائر الأمة في واد آخر.

وهذا كما يقول الشيخ القرضاوي (الذي فقد اليوم ظله وأضحى يقول عكس ما كان يعتقده قبل ثورات الربيع الإخوانية) ما وقع فيه الخوارج في فجر الإسلام، والذين كانوا من أشدّ الناس تمسكاً بالشعائر التعبّدية، صياماً وقياماً وتلاوة قرآن، ولكنهم أتوا من فساد الفكر، لا من فساد الضمير.

زيّن لهم سوء عملهم فرأوه حسناً، وضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهو يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ومن ثم وصفهم النبي بقوله: يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وقيامه إلى قيامهم، وقراءته إلى قراءتهم، ومع هذا قال عنهم: يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ووصف صلتهم بالقرآن فقال: يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم وذكر علامتهم المميّزة بأنهم يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان.

هذه العلامة الأخيرة هي التي جعلت أحد العلماء، حين وقع مرّة في يد بعض الخوارج، فسألوه عن هويته، فقال: مشرك مستجير، يريد أن يسمع كلام الله.

وهنا قالوا له: حق علينا أن نجيرك، ونبلغك مأمنك، وتلوا قول الله تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ (...) التوبة: من الآية 6)، بهذه الكلمات نجا مشرك مستجير، ولو قال لهم: مسلم، لقطعوا رأسه!

وما وقع لطائفة الخوارج قديماً، وقع لأخلافهم حديثاً.

وهم كما يقول الشيخ الذي فقد ظله، يوسف القرضاوي، يكفرون كلّ من ارتكب معصية وأصرّ عليها، ولم يتب منها، وهم يكفرون الحكام، لأنهم لم يحكموا بما أنزل الله.

ويكفرون المحكومين، لأنهم رضوا بهم، وتابعوهم على الحكم بغير ما أنزل الله.

وهم يكفرون علماء الدين وغيرهم، لأنهم لم يكفروا الحكام والمحكومين، ومن لم يكفر الكافر فهو كافر.

وهم يكفرون كلّ من عرضوا عليه فكرهم، فلم يقبله، ولم يدخل في ما دخلوا فيه.

ويكفرون كل من قبل فكرهم، ولم يدخل في جماعتهم ويبايع إمامهم.

ومن بايع إمامهم ودخل في جماعتهم، ثم تراءى له – لسبب أو لآخر – أن يتركها، فهو مرتدّ حلال الدم.

وكلّ الجماعات الإسلامية الأخرى إذا بلغتها دعوتهم ولم تحلّ نفسها لتبايع إمامهم فهي كافرة مارقة.

وكلّ من أخذ بأقوال الأئمة، أو بالإجماع أو القياس أو المصلحة المرسلة أو الاستحسان ونحوها، فهو مشرك كافر.

والعصور الإسلامية بعد القرن الرابع الهجري، كلها عصور كفر وجاهلية، لتقديسها لصنم التقليد المعبود من دون الله (انظر كتاب ذكرياتي مع جماعة المسلمين – التكفير والهجرة – عبد الرحمن أبو الخير(.

وهكذا أسرف هؤلاء في التكفير، فكفروا الناس أحياءً وأمواتاً بالجملة، هذا مع أنّ تكفير المسلم أمر خطير، يترتب عليه حل دمه وماله، والتفريق بينه وبين زوجه وولده، وقطع ما بينه وبين المسلمين، فلا يرث ولا يورث ولا يوالي، وإذا مات لا يغسل ولا يكفن، ولا يُصلّى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين.

ولهذا حذّر النبي من الاتهام بالكفر، فشدّد التحذير، ففي الحديث الصحيح: من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، فما لم يكن الآخر كافراً بيقين، فستردّ التهمة على من قالها، ويبوء بها، وفي هذا خطر جسيم (ترى ما رأي فقهاء السلطان الذين كفروا ليس شعوب وحكام الواقع الراهن، فحسب بل التاريخ أيضاً مثلما حدث مع الدولة الفاطمية ومؤسسها؟)

وقد صحّ من حديث أسامة بن زيد أنّ من قال: لا إله إلا الله فقد دخل في الإسلام وعَصَمَتْ دمَهُ ومَالَهُ، وإن قالها خوفاً أو تعوّذاً من السيف، فحسابه على الله، ولنا الظاهر، ولهذا أنكر النبي غاية الإنكار على أسامة حين قتل الرجل في المعركة بعد أن نطق بالشهادة، وقال: قتلته بعد أن قال: لا إله إلاّ الله؟ قال: إنما قالها تعوّذاً من السيف؟ قال: هلاّ شققت قلبه؟ ما تصنع بـ لا إله إلاّ الله؟ قال أسامة، فما زال يكرّرها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ فقط.

ومن دخل الإسلام بيقين لا يجوز إخراجه منه إلاّ بيقين مثله، فاليقين لا يزول بالشك، والمعاصي لا تخرج المسلم من الإسلام، حتى الكبائر منها كالقتل، والزنى، وشرب الخمر، ما لم يستخفّ بحكم الله فيها، أو يردّه ويرفضه.

ولهذا أثبت القرآن الأخوة الدينية بين القاتل المتعمّد وولي المقتول المسلم، بقوله (فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ) (البقرة - الآية 178،) وقال النبيّ لمن لعن الشارب الذي عوقب في الخمر أكثر من مرة: لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله.

وفاوتت الشريعة بين عقوبة القتل والزنى والسكر، ولو كانت كلها كفراً، لعوقب الجميع عقوبة المرتدّ.

ونسأل الشيخ يوسف القرضاوي سؤالاً بسيطاً ومباشراً: أليس هذا التكفير الذي كنت تعيبه على التكفيريين قبل «ثورات الربيع العربي» المزعومة... هو عينه التكفير الذي أفتيت به أنت وجماعات الإخوان والإرهاب في مصر وسورية وليبيا... باسم الثورات؟! فلماذا تناقض نفسك؟ وهل من أخلاق المسلم، ناهيك عن كونه شيخاً يُفترض أنه يفهم في الفقه والدين، ان يكفر ويفتي بسفك الدماء كما فعلت أنت تحديداً في فتاويك بشأن ليبيا وسورية والآن بشأن الجيش المصري؟

على اية حال، وفي نهاية الفتاوى المتناقضة يؤكد الشيخ الذي فقد ظله... ثمّ لاحقاً فقد فقهه الوسطي... الشيخ القرضاوي (!) أنّ (الشبهات التي استند إليها الغلاة في التكفير، مردودة بالمحكمات البيّنات من كتاب الله وسنة رسوله، وهو فكر فرغت منه الأمة منذ قرون، فجاء هؤلاء، يجدّدونه، وهيهات...)

* ترى ما رأي يوسف القرضاوي وجماعته في هذة الأقوال مقارنة بأقواله وفتاويه التكفيرية ضدّ جيش مصر وشرطتها وإعلامها وناسها العاديين الذين خرجوا بعد 2013/6/30 يرفضون حكم الإخوان وسياساتهم التي كانت تأخذ مصر الى المسار والمصير الليبي او السوري؟ وما هو رأي أتباعهم من فقهاء السلطان القطري او التركي الذين كفروا الناس والتاريخ والحكام في ما قاله الشيخ الذي فقد ظله وفقهه! هل يمتلكون شجاعة الردّ أم أنهم لا يفقهون، وإنْ فقهوا لا ينطقون إلا بأمر واشنطن وتل أبيب؟

السيّد نصرالله ودرس جديد في الأخلاق السياسية اللبنانية

■ **جهاد أيوب**

منذ انطلاقة اللعبة السياسية في لبنان والالتزام الأخلاقي عند الغالبية العاملة في الشأن السياسي بعيد عن الممارسة، ودائماً الغلبة تكون للمصالح الخاصة على حساب مصلحة الوطن والإنسان فيه، والسعي يكون للمكاسب التي سيحصل عليها الزعيم كي يبقى في زعامته متمترساً ومتسمّراً على كرسيه لا يزحزحه غير الموت بعد ان يكون قد أوصاها وأورثها لولده دون نهايات زمنية تذكر، المهمّ أن تكون أهداف حركته السياسية مبنية على دائرة يخطها بجهود خاصة تحلل له كلّ الأفعال والتخليات والانفعالات والانزلاقات والانفلاتات من أيّ قيد أو وعد كان قد أخذه مع شركاء في الحكم والبلد، ويساعده في انغماسه بهذا الأسلوب الذي أصبح منهجاً له ولمن يسير على دروبه غياب المحاسبة، وتغنّي جمهوره بأفعاله التي لا تمتّ إلى الممارسة السياسية الحق وإلى التربية المدنية والوطنية والأخلاقية بشيء، وبذلك يعتقد أنها نجاحاته الميمونة والمستمرّة، ونستطيع القول إنّ اتفاقات الليل عند أكثر الساسة في لبنان تطير مع عصافير النهار إنْ لم تصبح مغايرة كلياً، وجرت العادة أن ينام واحدهم رئيساً ليُفاجأ فجراً بأنّ تعيينه تاه مع الريح، ومن اتفق معه ورشحه وأيده لم يعد يعرفه، والحديث عن ذلك يطول، لا بل الإشارات وسرد الحكايات حولها تحتاج إلى مجلدات كي تكتب...

إلا أنّ السيّد حسن نصرالله، وهو القائد الصادق والإنسان الوفي، وزعيم أهمّ مقاومة في التاريخ الحديث، حيث رسخت في الكتاب انتصارات عسكرية وإعلامية ونفسية على الكيان الصهيوني والجيش «الإسرائيلي»، هو الأكثر تواضعاً مع أنه سيّد المقاومة التي أصبحت قوة إقليمية، وهو الأكثر صبراً وتحمّلاً لأخطاء شركاء الوطن لإيمانه بقضية محقة، وبأنّ الوطن للجميع، وهو الملتزم ببقاء البلد والإنسان فيه...

أكد السيّد في خطابه مساء الجمعة الفائت أنّ التزامه الأخلاقي السياسي قضية واقعية وليست قضية تحدث في الأحلام، وهذا «الالتزام الأخلاقي السياسي» جملة لم يعتدها الشارع اللبناني، ولم نسمعها من السياسيين من قبل، كأنها جملة سقطت علينا من فضاء غريب لا يشبهنا، السيّد يمارس التزامه هذا فعلاً وليس كلاماً دون تنفيذ، هو بمستوى التزامه الديني والقيادي والعائلي والأخلاقي، أيّ أنّ مسؤولياته ليست وراثية بحجة بقاء الزعامة، وليست لتوريث الأحفاد كي تبقى الكرسي، وليست مجرّد صورة وبروازاً يتغيّر مع الزمن وحسب القوى الإقليمية والمصالح المادية!

حينما قال السيّد: «نحن لدينا التزام أخلاقي سياسي مع ميشال عون، وندعم ترشيحه، وسنفي بالتزامنا، وعلاقتنا مع حلفائنا مبنية على الثقة والصدق والحوار الدائم والاحترام المتبادل... «صفع الجميع، وقدّم درساً في أنّ السياسة ليست فنّ الخداع والكذب ومن يكسب أكثر، بل وضعها في قانون الالتزام بما يتفق مع عقلك ولسانك وصدق مواقفك، لأنّ صديقاً في الوطن أهمّ من عدو في الوطن، ولأنّ شريكاً في الوطن والسياسة التي وجدت لخدمة الوطن وأهله أهمّ من جلسات التكاذب، أو تتعمّد الكلام المنمّق بينما في يدك الخنجر الغادر، لأنّ التواصل في الوطن لا يعني الضحك على من يؤمن بالوطن بحجة نعمل في السياسة كي نضحك على الشريك مطوّلاً، وما نتفق عليه الأن سنغيّره بعد برهة حسب من يدفع أكثر... إنّ سلاح السيّد نصرالله هو الفعل بعد القول، وهو الشرط المعروف، شرط هذا الرجل المقبل إلينا من عباءة نظيفة إلا من غبار الجهاد، ومن قيمة التراب والصخور والزهور، وغسلت بماء الوطن، شرط هذا المقاوم والسياسي حماية كرامات الناس ومقاومة الأرض التي حمت الوطن وأعادت ما سرق من ترابه، وكلّ ما يحدث بعد هذا الشرط ليس في ملعب الكسب والسرقة والغدر والتشاطر، بل السعي الحقيقي في أن يتحقق الشرط دون منّة أو تكاذب أو غدر، وبالفعل تمّ التكاذب والغدر من بعض من اعتقدوا أنّ رجالات المقاومة تصدق مدّ اليد، ومع ذلك مدّت اليد لتصافح... لكنها لم تكن غبية، أو عبيطة كي تجرّب المجرّب مرة ثانية!

إنّ وضوح أقوال السيد حسن وأفعاله هو مدرسة جديدة في الخطاب السياسي، وحلقة قيّمة تدعم حماية أنّ الأمل لا يزال دواء الحقيقة، وأنّ الحقيقة مهما عمل على تشويهها مصانة عند أمثال السيد، وأمثال السيد قلة لكننا في وجوده لن نكون آخر الحالمين بمثالية في حقيقة السياسة الوطن، وهذا الوضوح عند السيّد نصرالله قرّبه من كلّ الأطياف والشرائح والناس، وجعل الأعداء ينتظرون كلامه – طلته – حضوره – خطاباته – حواراته وما سيقوله، قبل مناصريه وأحبابه، وضوحه وتاريخه وصدق وعوده، وتصرّفه قرّبه من الطفل والشاب والشيخ والعجوز، وجعله منارة في فكر الطالب والباحث ومن يختلف معه فكرياً وعقائدياً، هو لا يحتاج إلى من يشرح مواقفه، الكلّ يفهم عليه ويثق به ويتبنّى ما قاله لأيمانه بأنه بعيد عن الكذب والدجل والتعامل باستخفاف وخفّة بالقضايا الوطنية المصيرية وشؤون العباد التي اعتادها من غيره على مرّ الزمن في الكيان اللبناني، وما أدراك ما السياسة في هذا الكيان اللبناني الهش!

لا يحتاج السيد حسن نصرالله أن نجامله، أو نتحدّث عنه وهو الذي زهد في المناصب والمراكز والزعامة وانتصر عليها، وهو الذي تواضع كي يبقى قريباً من أهله وأناسه، ولكن في خطابه الأخير قدّم درساً في أنّ العمل في كلّ المجالات إنْ كان شفافاً وواضحاً لن يفقد صاحبه، ولن يخسره صاحبه، فالوضوح والصدق وتنفيذ الوعد وصيانة وإيصال الأمانة تزيدك قيمة ووهجاً، خاصة إذا كانت في السياسة، والسياسة في بلادنا لم تعد سياسة المنطق والمعقول، بل هي سياسة اللا منطق واللا معقول، وها هو رجل لا يطمع بالثروة، ولا يطمح إلى منصب، يرمي الحجة ويلقّن الجميع درساً مهما كدنا ننساه وهو أنّ الالتزام الأخلاقي في السياسة أكثر من ممكن، ويمكن للسياسي أن يقولها...

... ويبقى الوفاء في زمن الغدر عنواناً للأصلاء

■ **د. سلوى الخليل الأمين***

كلما استمعت إلى سماحة السيد حسن نصرالله أشعر بالطمأنينة، وأرمي ما يتملكني من قلق دائم على وطني ومستقبل أولادي وأحفادي خلف ظهري، وأتطلع إلى الأمام، إلى مستقبل يرسم بعقلانية وحكمة وضمير متيقظ باستطاعته ردع كلّ الأخطار المحدقة بلبنان الوطن، الذي هو أيضاً نور العيون.

فحديث السيد حسن نصرالله، يبقى البلسم الذي يداوي ألمنا وقهرنا وظلم ذوي القربى، الذين أرهقوا المواطن اللبناني بسبل عيشه وحياته الآمنة المستقرة، لهذا أتشبّث به وأنزله منزلة لها في القلوب مساكن وفي العقل مراح معشوشب بالأمل الذي ينتظره كلّ مواطن حرّ وشريف في لبنان، ولا يفارقني كمواطنة صابرة، من هذا الوطن الجميل، الذي تغنّى به زمناً، الكتاب والشعراء والمطربون والمطربات، والموسيقيون الذي جبلوا موسيقاهم بأنين ناياته، ورنين أجراس كنائسه، وتكبيرات مآذنه، وتمتمات الجدات العجائز اللواتي عرفن كيف يسردن حكايات العشيات لأحفادهن حباً يزرع في الصدور، ولا تفنيه الدهور، بل يجعل الأبناء والأحفاد يتشبّثون بهذه الأرض التي حماها المجاهدون المقاومون بدمائهم الطاهرة، ورسمها الفنانون بألوانهم ربيعاً دائماً مجللاً بعظمة الخالق، وحماها العقلاء بقوة إيمانهم الذي لا يقبل النقاش، حين الوطن في أجنداتهم أغلى ما في الوجود.

فحين يتكلم السيد حسن نصرالله، ترتسم هذه الصورة الرائعة في العقل والضمير والوجدان، وتقوى لدينا صلابة التشبّث بالأرض التي يرعاها الأصلاء حين يتدثّرون همومها ومصاعبها، ويحاولون الحرص على تظهير الصورة الأجمل للوطن لبنان الذي ما زال وطن الإبداع ونور العيون، الذي يتطلب الرعاية والعناية والحماية مما يخبّئه المجهول، حيث من واجب الوجوب إلباسه رداء واقياً من الزلل والعثرات، من أجل ان يلتحف الجميع سماءه. لأنّ هذا الوطن هو قدر لشعبه على اختلاف مشاربهم وأحزابهم وتطلعاتهم وأهوائهم، كما هو في قلب السيد وعقله وضميره كبضعة منه، وكنور عينيه، التي أرسلها حباً أبوياً وأخوياً معمّداً بالوفاء والتمنّي، لمن أحبه ووثق به حليفاً وفياً للعهد والوعد، عنيت الزعيم سليمان بك فرنجية.

هكذا هم رجالات السياسة الكبار، وهذا مسراهم الذي هو القدوة والمرتجى في زمن قلّ فيه الوفاء، وتعدّدت فيه مكائد الغدر والخيانات، والتلطي خلف الكلام المبهم والشعارات المفبركة والمستوردة، فعنوان مساراتهم الوفاء القائم على دراسات معمّقة لما يجري حولنا، ولما ترسمه المخططات الدولية العالمية للمنطقة ككلّ، امتداداً من لبنان إلى سورية فاليمن والعراق ومصر وهلمّ جرا. فلبنان ليس في جزيرة نائية وليس قطعة أرض منفصلة عما حولها، فهو محاط بعدو «إسرائيلي» شرس، وبحرب كونية إرهابية تعاني منها سورية، تنعكس كلّ مجرياتها على الساحة اللبنانية باعتراف الجميع، لأنّ سورية بوابة لبنان إلى الدول العربية، كما أنّ لبنان هو بوابة العرب إلى البحر المتوسط المسوّر بالدول الأوروبية من جهة وبالدول العربية الأفريقية من الجهة الأخرى، لهذا فالمطلوب في هذه الظروف الراهنة التي تعلو فيها لغة التسويات في المنطقة، بدءاً من سورية، وانطلاقاً من مؤتمر جنيف الحالي، الذي أجبرت فيه المعارضة المرتهنة التابعة للإرهابيين ومموّليهم بالانطلاق إلى المشاركة في المفاوضات التي تجري برعاية أميركية وروسية، وذلك بعد تهديد مباشر من وزير الخارجية الأميركي جون كيري الذي دفعهم دفعاً إلى جنيف حسب مقولة: مكره أخاك لا بطل.

إنّ إخراج التسوية في سورية يجب أن تتبعه تسوية أيضاً على الساحة اللبنانية، تجمع ولا تهدم، خصوصاً أنّ الحرص على قيامة لبنان يكون في التوافق على تهيئة المناخات الآمنة والمستقرّة التي ستواكب مرحلة التسوية السياسية المقبلة، لهذا لا بدّ من رئيس للجمهورية يملك مشروعاً لبناء دولة لبنان الحديثة القادرة والمقتدرة على استنهاض الوطن بكلّ مكوّناته السياسية والشعبية، إضافة إلى الاستفادة من القدرات الخلاقة والكفاءات المبدعة التي يعلو بها الوطن ويرتفع حتى يصل إلى المستوى الذي يطمح إليه كلّ مواطن، بعد ان باتت الدولة أشبه بمزرعة عشائر يتناتش مقوماتها الكبار، من اقتسام مغانم وتوزيع حصص بالتساوي، دون النظر إلى المصلحة الوطنية العليا.

لهذا فإنّ ما قاله السيد حسن نصرالله في هذا المعنى، أيّ الانطلاق إلى بناء الدولة الحديثة بدءاً برئاسة الجمهورية، واضح وصريح، لهذا أكد التزامه بتأييد الجنرال ميشال عون إلى رئاسة الجمهورية، كما أبدى تشجيعه الواضح والمطلق لكلّ تقارب حصل ويحصل بين الأفرقاء المتخاصمة حين القول: لا عداوة في لبنان بل خصومة، ومن منا لا يدرك أنّ الخصومة تصبح صداقة بلمح البصر على الساحة السياسية اللبنانية! وهذا ليس بمستغرب ويدركه جميع اللبنانيين، إذاً لماذا الاستغراب حين عمد الجنرال ميشال عون إلى التواصل مع مكوّن مسيحي فاعل على الساحة اللبنانية، لا يمكن لأحد مهما بلغت مقامات العداء معه أو الخصومة إلى تجاهل مكوّنه، وهذا ما أوضحه سماحة السيد من منطلق إيماني ووطني صريح، يعتبر أنّ قيامة لبنان وبناء الدولة الحديثة القادرة والمتمكنة، تستوجب تعاضد كلّ الفرقاء، بمن فيهم تيار المستقبل الذي لم يهمل سماحته الإشارة إلى موقعه المهمّ في الدائرة السياسية اللبنانية.

لهذا من المفترض دراسة موقف السيد حسن نصرالله بعقلانية ووطنية بعيداً عن التشنّج والكيدية والتعصّب الأعمى المهلك للوطن والناس أجمعين، وقبول الحوار الذي مهّد له بدعوة الحلفاء أولاً للتفاهم، ومن ثمّ بين كلّ المكوّنات السياسية، إذا ما جنحوا إلى المصلحة العامة للوطن من منطلق القول الكريم: «إنْ جنحوا للسلم فاجنح له وتوكل على الله»، لأنّ العداء والمناكفات السياسية والضرب على وتر الانتماءات الدينية والمذهبية، لا يمكن أن تبني وطناً يريده الجميع قوياً.

إنّ المصلحة الوطنية اللبنانية يجب أن تطفو على مسار كلّ الأفرقاء، لجهة نبذ الفرقة والتفرقة من أجنداتهم التي باتت سطورها مبلولة بالسواد، والعمل على احتضان الوطن ومواطنيه التي باتت صرخاتهم على كلّ شفة ولسان علناً وحراكاً، لأنّ استنهاض الدولة القادرة والمتمكّنة تعلو بالوطن إلى المقامات الألى، التي تنير الدروب بالمحبة والصفاء، الذي يستطيع اللبنانيون العقلاء والحكماء غرسه ببذار العقل المجبول بالوفاء والإخلاص، واحترام كلمة الوعد والعهد، والحفاظ على الوطن الذي يضمّنا جميعاً تحت عباءته البيضاء التي مسح عليها سماحة السيد حسن نصرالله، نبل إشاراته المفعمة بالتوق إلى رؤية الشعب اللبناني متكافلاً ومتضامناً بقوله: لا توجد في لبنان عداوات بل خصومات، وهي قد تتحوّل إلى معاهدات ولقاءات وصداقات تصبّ في الخانة الوطنية العليا.

هذا كلام الكبار في زمن قلّ فيه الكبار والعقلاء والحكماء، وهذا كلام الوفاء في زمن كثر فيه الغدر والارتهان وخيانة الأوطان، ويا ليت الجميع، يقلب من جديد صحائف التاريخ التي تظهر أنّ الخيانة والعمالة والارتهان وبيع الوطن بالمال والسلطة هو أمر خطير، إذ يبقى الوفاء للوطن هو شجاعة الشجعان حين معارك الكرامات تتطلب الصمود والتصدّي لكلّ من يدفعه ضميره الوطني الحيّ إلى الحفاظ على سيادة الوطن وكرامة الشعب وانتشالهما من سوق المزايدات والحرتقات، التي تهلك الوطن وتدمّره وتقسّمه وتشرذمه وتهجّر أبناءه شرقاً وغرباً، حين الولاء والانتماء الحقيقي هما الهدف الأسمى الذي يرسم المصير والمسار راية خفاقة من البحر إلى أعلى القمم، وعلى وسع المساحات كلها.

فالسيد... حين دعا بالفم الملآن إلى الحوار بين الحلفاء أولاً، مع التمنّي بتحالف كلّ الأفرقاء على الساحة اللبنانية، لأنّ سعيه هو رسم الأنموذج الصحيح للوطنية، التي على الجميع التشبّث بإطلاقها، مع العمل على جعل الوفاء بالعهد والوعد صفة كلّ مؤمن بقيامة لبنان، لهذا يكون وعده بانتخاب الجنرال ميشال عون رئيساً للجمهورية، الذي تمّ إطلاقه عن سابق دراية ودراسة معمّقة، ستردّ مفاعيله نجاحاً مثمراً للبنان ولكلّ لبناني يجد في نفسه القدرة على التميّز بالوطنية المطلوبة، خصوصاً أنّ الوضع في المنطقة المقبل على تسويات مهمة، يستوجب إعادة بناء الدولة على أسس حديثة، أساسها الشعب والحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية، وهذا لا يقلّ من الحب العميق والتقدير المطلق والاحترام للحليف سليمان بك فرنجية ومواقفه الوطنية المشرّفة، وهذا هو رأي كل من التزم الوفاء أصالة ونهجاً وانتماء للبنان، خوفاً من أن يبقى هذا الوطن متأرجحاً على كفوف العفاريت، معرّضاً لخطر «الدواعش» و«إسرائيل»، خصوصاً أنّ «الدواعش» الهاربين من انتصارات الجيش العربي السوري وحلفائه، قد باتوا على مقربة من بلدة عرسال، وليس في جرودها، مع ما يشكل هذا الواقع الجديد من حالة خطيرة تتطلب التضامن الوطني، كي لا تنعكس وبالأعلى منطقة البقاع ومن ثم على الوضع العام في لبنان. ولات ساعة مندم.

*** رئيسة ديوان اهل القلم**